خطبة: خطر النفاق والمنافقين

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

حديثنا اليوم عن آفة الآفات وأس الفتن والمؤمرات ، الداء العضال والسم الزعاف الذي أوهن بناء الأمة المسلمة ونخر السوس في أسوارها ويسّر للأعداء اختراقها والمكر بها ، إنه النفاق والمنافقون عباد الله

لقد تحدث القرآن عن النفاق و المنافقين في مواضع كثيرة ، في سبعَ سورة مدنية من 30 سورة، واستغرق ذلك قرابة ثلاثمئة وأربعين آية

ونزلت سورة التوبة التي سميت الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وكشفت أحوالهم وبينت أسرارهم ودواخلهم وخططهم ، وسميت سورة بأكملها بإسمهم " سورة المنافقون " كشفت أسرارهم وأساليبهم لتحذير المجتمع المسلم من خطر هذا العدو الهدّام الذي يحاربهم من داخلهم، ويسعى إلى تدميرهم خلسةً وخفية ،

حين لا تراه الأعين ولكن تكتشفه بصائرُ أولي الألباب .

وحقيقة النفاق -عباد الله- أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن؛ فقد يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وقد يبطن الكراهية ويظهر المودة، وقد يبطن الحقد والغل ويظهر الفرح والسرور، وقد يبطن الشر ويظهر الخير ، إلى غير ذلك مما هو مثله، قال الحافظ بن رجب " النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير, وإبطان خلافه " جامع العلوم والحكم لابن رجب)

والنفاق ينقسم إلى قسمين: نفاق أكبر وهو النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإنسان أنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. ويبطن في قلبه الكفر بذلك أو بعضه.

وهذا هو النفاق الذي نزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار.، وقد وصف الله هؤلاء المنافقين بصفات الشر كلها من الكفر وعدم الإيمان والاستهزاء بالدين وأهله. وميلهم إلى أعداء الدين لمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام والمسلمين.

وهؤلاء يسعون لإثارة العداوة بين المسلمين. ، ومن صفاتهم الذميمة أنهم بخلاء أذلاء سفهاء. ظواهرهم جميلة بقوة أبدانهم وجمال ثيابهم وحلاوة حديثهم، وبواطنهم قبيحة ممتلئة بالكبر والحسد والرياء وسائر الأمراض النفسية ( وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ )

ومن صفاتهم الإدعاء الكاذب والخداع ،

قال تعالى " يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9البقرة )

ومن صفاتهم إدعاء الإصلاح وهم أرباب الإفساد ، قال تعالى "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (12)(البقرة)

ومن أفعالهم الدنيئة السخرية من المؤمنين ، قال تعالى " وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون "( البقرة )

وقوله تعالى " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79 التوبة)

ومن صفاتهم التحاكمُ للأهواء وتركُ الشريعة إلا بما يوافق أهواءهم ، قال تعالى " وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (48 النور)

ومن صفاتهم موالاةُ اليهود والنصارى والخضوعُ والتذلل لهم ، قال تعالى "فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52المائدة)

ومن صفاتهم السعي لنشر الفاحشة والفساد والمنكر بين المسلمين ، قال تعالى " الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67التوبة)

ومن صفاتهم الفرح بمآسي المسلمين والحزن عند انتصاراتهم ، قال تعالى " إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (50التوبة)

معاشر المؤمنين

هذا النوع الأول من نوعي النفاق وهذه بعض صفات أهله ، أما النوع الثاني فهو النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي بأن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالفها من الغدر والخيانة

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف. وإذا خصم فجر.حتى يدعها: إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف. وإذا خصم فجر. وإذا عاهد غدر" رواه البخاري ومسلم.

وقانا الله من النفاق خصاله وأهله ،

ووفقنا للبّر والتقوى والعمل الذي يرضى

اقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم. كان عمر بن الخطاب يسأل حذيفة بن اليمان عن نفسه: هل عده الرسول من المنافقين؟ قال البخاري في صحيحه: قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم يخاف النفاق على نفسه. ويذكر عن الحسن قال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق...

وهذا ماينبغي للمسلم عباد الله أن يحذر من خصال التفاق وأسبابه ومخالطة أهله ، حتى وإن سلمّه الله من النفاق الاعتقادي فليحذر من خصال التفاق العملي ويتحنبّها ليبرأ دينه وعرضه كما أوصانا نبيّنا صلى الله عليه وسلم بقوله "حتى يدعها "